

## عنوان الماستر: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

السداسي: الثاني

اسم الوحدة: وحدة التعليم الأساسية

اسم المادة: مجتمع الغرب الإسلامي.

الرصيد: 05

المعامل: 02

الحجم الساعي خلال السداسي: 45 ساعة.

الحجم الساعي الأسبوعي: 1سا و30د (محاضرة) + 1سا و30د (أعمال موجهة)

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة (40%) + امتحان كتابي (60%)

أهداف التعليم:

1. توسيع اطلاع الطالب على مجتمع الغرب الإسلامي من حيث التركيب الاجتماعي والفئات المشكلة له ودور تلك الفئات في الحياة الاجتماعية والسياسية.
2. التعرف على الظروف التاريخية والعوامل المؤثرة في تشكل المكونات الاجتماعية وحركتها وهجراتها.
3. تنمية قدرة الطالب على تحليل التراتب الاجتماعي والأعراف والسلوكيات المجتمعية وربطها بالواقع التاريخي والسياسي.

المعارف المسبقة المطلوبة:

1. دراية بالمعارف العامة للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخ الاجتماعي خصوصاً.
2. معرفة أهم مفاهيم التاريخ الاجتماعي وفهم منهجية البحث في هذا الاختصاص.

القدرات المكتسبة:

1. تحليل التركيب الاجتماعي لمجتمع الغرب الإسلامي في مختلف العصور.
2. تفسير دور القبائل والفئات المختلفة في الحياة الاقتصادية والسياسية.
3. تقييم أثر الهجرات وحركة السكان على التعمير والتنظيم الاجتماعي.
4. التعرف على وضع المرأة والمهمشين والرق في المجتمع وربط ذلك بالتركيب الاجتماعي العام.

5. استخدام المصادر التاريخية والاجتماعية في البحث والتحليل التاريخي.

محتوى المادة:

## المحاضرة 1: مقدمة في التاريخ الاجتماعي لمجتمع الغرب الإسلامي: المفهوم والأهمية

أولاً: الإطار المفاهيمي (ما هو التاريخ الاجتماعي؟)

**التعريف :** هو الانتقال من تاريخ "الأحداث والملوك" (التاريخ الكرونولوجي) إلى تاريخ "البنىات والمجتمعات". يركز على دراسة الحياة اليومية، التراتبية، والعلاقات بين مختلف الفئات.

**الجدور المنهجية:** ربط التخصص بالبيئة المحلية من خلال الإشارة إلى "مقدمة ابن خلدون" كأول تأسيس لعلم العمران البشري في الغرب الإسلامي، وكيف يتقاطع هذا الطرح مع المناهج التاريخية الحديثة المعنية بالتاريخ من أسفل.

ثانياً: تحديد المجال (الغرب الإسلامي)

**الحدود الجغرافية:** الفضاء الممتد من برقة وطرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن الأندلس شمالاً إلى بلاد السودان (التخوم الصحراوية) جنوباً.

**الخصوصية البنيوية:** التأكيد على أن هذا المجال يشهد تفاعلاً مستمراً بين ثنائية "البداءة والحضارة"، ويضم مكونات بشرية متنوعة تتفاعل في بيئات جغرافية متباينة (جبال، سهول، صحراء)

ثالثاً: أهمية دراسة التاريخ الاجتماعي لهذا المجال

- فهم التحولات العميقة: إدراك أن التغيرات السياسية وسقوط الدول ترتبط جذرياً بتحولات اجتماعية واقتصادية (تغير العصبية، الأزمات).

- تسليط الضوء على الفئات التي همشتها المصادر الرسمية ومؤرخو البلاط.

- ربط هذه الأهمية بموضوعات (القبيلة، المرأة، المهمشون) لبيان تماسك المادة العلمية.

## المحاضرة 2: مصادر التاريخ الاجتماعي للمغرب الإسلامي وأنواعها

أولاً: إشكالية المصدر في التاريخ الاجتماعي

- صمت المصادر الرسمية: تتسم المصادر التاريخية الكلاسيكية، كالحوليات والتواريخ السلطانية، بتركيزها على النخبة الحاكمة والأحداث السياسية والعسكرية، متجاهلة الحياة اليومية للعوام والفلاحين والحرفيين.
- الاستنطاق المنهجي: يتطلب البحث في التاريخ الاجتماعي قراءة نصوص كُتبت لأغراض أخرى، كالفقه أو الإدارة أو التصوف، قراءة "عكسية" وما بين السطور لاستخراج المادة الاجتماعية المخفية فيها.

## ثانياً: التصنيف الأساسي لمصادر التاريخ الاجتماعي

لتجاوز القصور في الحوليات الرسمية، يعتمد الباحث في التاريخ الاجتماعي للغرب الإسلامي على شبكة متنوعة من المصادر البديلة، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

### • 1. كتب النوازل والفتاوى الفقهية (الأرشيف الحي للمجتمع):

○ **طبيعتها:** تختلف النوازل عن الفقه النظري في كونها أسئلة واقعية وحالات فعلية حدثت في المجتمع ورُفعت إلى المفتي أو القاضي للفصل فيها.

○ **قيمتها الاجتماعية:** تُعد من أغنى المصادر وأكثرها دقة؛ فهي ترصد النزاعات اليومية، وتكشف عن تفاصيل الحياة الأسرية (كالزواج، والطلاق، والنفقة، والمواثيق)، وتوثق المعاملات الاقتصادية وعلاقات الإنتاج (كعقود المزارعة، والمغارسة، والشراكات التجارية). كما تسلط الضوء على تفاعل المسلمين مع الأقليات (أهل الذمة)، وتبرز التوتر بين الأعراف القبلية الموروثة والشرع الإسلامي.

○ **أمثلة:** موسوعة "المعيار المغربي والجامع المغربي" لأحمد الونشريسي، والتي تُعد أعظم جامع لنوازل الأندلس والمغرب وإفريقية، بالإضافة إلى "جامع مسائل الأحكام" للبرزلي، و"نوازل ابن الحاج".

### • 2. كتب المناقب وتراجم الصلحاء (تاريخ الذهنيات والفئات الشعبية):

○ **طبيعتها:** نصوص تُعنى بسير المتصوفة، والصلحاء، وشيوخ الزوايا، وكراماتهم.

○ **قيمتها الاجتماعية:** تتيح هذه الكتب كتابة "التاريخ من أسفل"، حيث تنقل بؤرة الضوء من بلاط السلطان إلى البوادي، والقرى، وهوامش المدن. تكشف هذه النصوص عن "تاريخ الذهنيات" وكيف يفسر العوام الظواهر الطبيعية والأمراض. كما تبرز الدور الوظيفي للزاوية في المجتمع المغربي كمؤسسة للإطعام وقت المجاعات، وملجأ للمهمشين، وإطار للتوسط في النزاعات القبلية وتأمين الطرق.

○ **أمثلة:** "التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات التادلي، و"المقصد الشريف والمنزعة اللطيف" لعبد الحق الباديبي.

### • 3. كتب الحسبة والأحكام السوقية (التشريح المجهرى للمدينة):

○ **طبيعتها:** أدلة إرشادية وُضعت لتنظيم عمل "المحتسب" الذي يراقب الأسواق والآداب العامة.

○ **قيمتها الاجتماعية:** تقدم وصفاً مجهرياً للحياة الحضرية، حيث تُفصّل أنواع الحرف والمهن، وتنظيمات الطوائف الحرفية (الأمناء والعرفاء). وتكتسي أهميتها من رصدها لأساليب الغش والتدليس في السلع، مما يعكس الأزمات الاقتصادية وتأثيرها على الأخلاق العامة. كما توثق هذه الكتب لآليات الرقابة على الفضاء العام، وطرق الفصل بين الجنسين، ومعايير النظافة والصحة العامة في الأسواق والحمامات.

○ **أمثلة:** رسالة في القضاء والحسبة لابن عبدون الإشبيلي، و"آداب الحسبة" للسقطي الأندلسي.

### • 4. كتب الرحلات والجغرافية والمسالك (الرصد الخارجي والمقارن)

- **طبيعتها:** مشاهدات وانطباعات دونها رحالة وجغرافيون أثناء عبورهم لمجالات الغرب الإسلامي.
- **قيمتها الاجتماعية:** توفر منظور "المراقب" الذي يلتفت إلى تفاصيل يومية قد تبدو مألوفة وعادية لابن البلد فلا يدوّنها. تصف هذه النصوص التباين في أنماط العيش بين البدو والحضر، وتفصل في العادات الغذائية، وأنواع اللباس، والاحتفالات الشعبية، ومواد البناء. كما تفيد في تتبع حركة القوافل التجارية وأثرها في التمازج الثقافي والعرقى عبر الصحراء.
- **أمثلة:** رحلة ابن بطوطة (تُحفة النُّظار)، وكتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للشريف الإدريسي، وكتاب "المسالك والممالك" لأبي عبيد البكري.

### المحاضرة 3: الخريطة الإثنية لمجتمع الغرب الإسلامي

#### أولاً: الحدود الجغرافية

- **بلاد المغرب:** اختلفت الآراء حول أصل تسمية "المغرب"، فهناك من يرى أن اللفظ أطلقه الأوروبيون (مُغرب) بمعنى الغريب أو الأجنبي، وهناك من يربطه بجهة غروب الشمس، أو بالتقسيم الجغرافي الإسلامي الذي تلا الفتنة الكبرى لتمييزه عن المشرق. يمتد المغرب جغرافياً من حدود مصر أو طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء الكبرى جنوباً. وقسمه المؤرخون إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى (إفريقية، من برقة إلى جبل نفوسة)، والمغرب الأوسط (من بجاية إلى وادي ملوية)، والمغرب الأقصى (من وادي ملوية إلى المحيط الأطلسي).
- **بلاد الأندلس:** الأندلس كلمة أعجمية يقال إنها ترتبط باسم قبائل "الوندال" (الأندليش). تقع في جنوب غرب أوروبا وتحدها سلسلة جبال البرانس التي تفصلها عن باقي القارة، ويحيط بها المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وتضم مساحتها إسبانيا والبرتغال الحاليين.

#### ثانياً: العناصر البشرية

- **سكان المغرب:** عُرف السكان الأصليون باسم "البربر"، وهي تسمية أطلقها الرومان لاختلاف لغة هؤلاء السكان عنهم، بينما أرجعها بعض العرب إلى جدهم "بِرّ". قُسم البربر إلى فرعين رئيسيين: "البرانس" (نسبة إلى برنس بن بر) و"البتّر" (نسبة إلى مادغيس الأبتّر). توافدت على المغرب عناصر أخرى مثل "الأفارقة" (بقايا القرطاجيين والرومان ويمتهنون الفلاحة والتجارة)، و"الروم" (البيزنطيون)، ثم "العرب" الفاتحون الذين استقروا وتصاهروا مع البربر.
- **سكان الأندلس:** سكنها قديماً قوم عُرفوا بـ "الأندلس" الذين هلكوا بالجفاف، ثم "الإشبان"، ثم القوط الذين حكموا الأندلس بـ 16 ملكاً آخرهم "الذريق" الذي شهدت أيامه الفتح الإسلامي.

### أولاً: القبائل المستقرة (البرانس)

- يغلب على مجموعة "البرانس" طابع الاستقرار، وتضم كتلاً بشرية ضخمة مثل الصنهاجية والمصمودية .
- **صنهاجة:** تُعد من أكبر بطون البرانس، وتتبع نظام الفيدرالية القبلية، وهي قبيلة واسعة الانتشار في المغرب حتى قيل إنها تمثل ثلث أمم البربر، وقد شكلت عصبيتها القبلية الكبيرة أساساً لتأسيس الدولة المرابطية .
- **مصمودة:** صنفهم ابن خلدون كأقوى قبائل البرانس وأكثرهم عدداً. ساهمت حركة الموحدين (التي ظهرت فيهم) في تعزيز تمركزهم وزيادة عصبيتهم، رغم أن الحركة ذاتها أضرت ببعض بطونهم .

### ثانياً: القبائل المهاجرة والمتنقلة (البتز)

- **زناتة:** يشكلون مجموعة "البتز"، ومثلوا العنصر الأساسي للسكان الرُّحل في المغرب خلال العصر الوسيط . شكّلت العصبية الزناتية الأساس لكيانات سياسية كبرى مثل الدولة الزيانية والدولة المرينية، وارتبط نفوذهم أحياناً بالطريقة التي مهدت لاحقاً لتأسيس الزوايا .

## المحاضرة 5: الأعراف، التقاليد وأنماط المعيشة القبلية

- **أعراف الزواج:** كان الزواج في البادية يتم غالباً بين الأقارب وأفراد القبيلة الواحدة لاعتبارات مادية لا جمالية، وكان المهر يُتفق عليه قبل العقد. يتكفل الوالد بتجهيز ابنته، وكانت احتفالات الزفاف تُقسم إلى حفل يومي للرجال ويلي للنساء يرافقه الرقص والغناء. كان القضاة يأذنون لبعض النساء المهاجرات بلا ولي بالزواج. وقد حُرمت النساء أحياناً من الميراث لمنع خروج أملاك الأسرة لغيرها .
- **الأعياد والمواسم:** احتفل البدو بالأعياد الدينية كرمضان والمولد النبوي والأعياد؛ ففي المولد النبوي كانت تُشعل الشموع وتُنشد قصائد المديح، وفي عيد الأضحى اهتموا باختيار الأضاحي (خاصة الأبقار والماعز)، وفي عاشوراء صُنِع ما لذ وطاب من الطعام .
- **الأطعمة والمشروبات:** الحليب هو المشروب الأساسي، بجانب أشربة عشبية ونبذ النخيل (اللاقمي) في الجنوب. تتوعت المأكولات بين الكسكس بالسمن والعسل، العصيدة، الثريد، البسيصة، بالإضافة للحوم والمأكولات البحرية والفواكه المتنوعة التي تُخزن لمواسم الشتاء .
- **الألبسة:** تميز المرابطون بلباس "اللاثام"، وارتدى الأعراب "العمامة" التي تُلف حول الرقبة ثم الرأس، وعمامة الناس لبسوا "الشاشية" والكساء والبرنوس. وارتدت النساء الريفيات الغنيات ملاءات زرقاء أو سوداء وحلياً من الفضة والذهب كدلالة على الثراء والادخار .

## المحاضرة 6: أثر الهجرات على التعمير والتنظيم الاجتماعي

ساهمت الهجرات البشرية في بلاد الغرب الإسلامي في تعزيز التعدد الإثني والثقافي بشكل كبير .

**الهجرات العربية:** بدأت مع الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، وتطورت في العهد الإدريسي. تُعد الهجرة الهلالية (عرب بني هلال) أهم هجرة في العصر الوسيط، حيث أضعفت قوى القبائل الزناتية وانتشر الهلاليون في نواحي المغرب الأقصى واستقروا تدريجياً .

**الهجرات الأمازيغية الداخلية:** نزحت أعداد من السكان الصنهاجيين من الجنوب نحو مناطق الوسط والشمال، كما شملت الهجرات الزناتية انتقالاً للمغرب الأقصى .

استُخدمت الهجرات لأغراض سياسية وعسكرية، كما فعل عبد المؤمن بن علي الكومي حين أمر بتوطين قبيلته (كومية) لتعزيز جيش الموحيين وتقوية نفوذه .

أدت هذه الهجرات الكثيفة والمتبادلة إلى تداخل وامتزاج العناصر العربية والبربرية، حتى تحدّث المؤرخون عن ظاهرة "تبرير العرب وتعرب البربر ."

## المحاضرة 10: التراتب الاجتماعي والفئات المهيمنة

**مفهوم التراتب الاجتماعي:** هو هيكلية تنظم جماعات البشر في طبقات وهيئات لتحقيق المصلحة العامة وتفعيل دور الأفراد، ويعكس هذا التراتب "الطبقات الاجتماعية" في المجتمعات المحكومة بالانتماءات القبلية والطائفية .

**التراتب في الغرب الإسلامي:** قسم ابن الحاج في نوازله مجتمع الأندلس إلى ثلاث طبقات: الأغنياء، متوسطو الحال، والمقلّون (الفقراء) .

### الطبقة في النظام القبلي والحضري:

- في قمة الهرم يوجد السلطان وأسرته الحاكمة ومقربوه، يليهم قادة الجيش والوزراء والكتّاب .
  - تليهم طبقة الفقهاء والعلماء (برزت قوتهم خاصة في العهد المرابطي)، وتفرع إلى قضاة وعلماء .
  - طبقة العامة وتشمل الفلاحين والحرفيين وصغار التجار، بينما كان كبار التجار يُصنفون أحياناً ضمن الطبقة الخاصة المقربة من الحكام (كما في البلاط الزياني) .
  - في قاعدة الهرم توجد الطبقة الدنيا المكونة من المهمشين والعبيد .
- احتفظت المجتمعات القبلية بتراتبها الخاص، حيث تربع شيوخ القبائل والأعيان على قمة الهرم ونالوا امتيازات كعدم دفع الضرائب والحصول على الغنائم .

## 1-الوضع العام للمرأة في الغرب الإسلامي

لم تحظ المرأة في الغرب الإسلامي باهتمام كبير في كتابات الرحالة المغاربة، إذ لم يرد ذكرها إلا بإشارات قليلة وغالبًا ما كانت ذات طابع سلبي. ومع ذلك، فإن هذا الإهمال لا يعكس واقع دورها الحقيقي، حيث تؤكد المصادر التاريخية أن المرأة شاركت في الحياة العلمية والدينية، وبرزت أسماء نسائية عديدة في مجالات النحو والفقه والحديث والشعر، بل إن بعضهن انتقلن بين مصر والشام لطلب العلم والسماع من كبار العلماء.

في البداية المغربية، كانت المرأة تُعدّ الركيزة الأساسية للأسرة، إذ تولّت تدبير شؤون المنزل من إعداد الطعام وصناعة الألبسة الصوفية لمواجهة قسوة المناخ، كما قامت بصناعة الأواني الفخارية، وشاركت الرجل في الأعمال الفلاحية. ولم يقتصر دورها على الجانب الاقتصادي، بل امتد إلى المجال السياسي، حيث يظهر تأثيرها من خلال تسمية القصور بأسمائها، مثل القصور التي شيدها الحكام الحماديون. كما لعبت بعض النساء أدوارًا سياسية بارزة، مثل زينب النفزاوية التي عُرفت بذكائها السياسي، ووالدة يغمراسن بن زيان التي خاضت مفاوضات ناجحة لصالح ابنها.

يتضح من ذلك أن دور المرأة لم يكن محصورًا في الأعمال المنزلية، بل ساهمت في تنمية الاقتصاد والمجتمع بشكل عام.

أما في الحواضر، فقد وصف الحسن الوزاني (ليون الإفريقي) نساء مدن تادلة، متناولًا حياتهن الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، مما يدل على حضورهن الفاعل في المجتمع الحضري.

وفي الأندلس، أولت الأسرة اهتمامًا كبيرًا بالفتاة منذ الصغر، حيث حرصت على حسن تسميتها وتربيتها على الأخلاق الفاضلة. وقد حظيت المرأة الأندلسية بنصيب وافر من التعليم، فبرزت في مجالات العلم والأدب والفنون، وأسندت إليها مهام تعليم أبناء الأمراء والنخبة.

ويؤكد ابن حزم الأندلسي هذه المكانة، إذ نشأ في كنف النساء، وتلقى عنهن القرآن والأدب والخط، مما يعكس مستوى تعليم المرأة ودورها في التنشئة الثقافية.

وقد ساهمت المرأة الأندلسية في الازدهار الحضاري، حيث برزت في مجالات متعددة مثل حفظ القرآن، ونسخ الكتب، ورواية الحديث، إضافة إلى الشعر والتعليم والطب والفلك. ويرجع ذلك إلى بيئة الأندلس المتسامحة والمتقدمة، وإلى النهضة العلمية التي شهدتها مدن كقرطبة وإشبيلية وغرناطة.

ومن أبرز العالمات في الأندلس "عابدة المدنية"، التي اشتهرت برواية الحديث. كما نالت المرأة مكانة مرموقة في الأدب، حيث تغنى بها الشعراء مدحًا وغزلًا، وكان لها تأثير واضح على الحكام، مثل اعتماد الريميكية زوجة المعتمد بن عباد.

كما تمتعت المرأة الأندلسية بقدر من الحرية، إذ شاركت في المجالس العلمية والاجتماعية، وخرجت إلى الأسواق والمساجد، وأسهمت في الحياة الثقافية. ومن أبرز مظاهر تحررها بروز الشاعرات، مثل ولادة بنت المستكفي، التي عُرفت بجراتها الأدبية.

ومن جهة أخرى، كان للمرأة تأثير على الحكام، حيث شُيّدت القصور والمدن بأسمائهن، مثل مدينة الزهراء. ولم يقتصر دورها على الطبقات العليا، بل ساهمت نساء العامة في الاقتصاد من خلال أعمال مثل بيع اللبن والغزل والعمل في البساتين.

كما برز دور الجواري في الفنون، خاصة في الموسيقى والرقص، وتميزت المرأة الأندلسية بالأناقة والزينة، حيث اهتمت بالملابس والحلي، مما يعكس مستوى الحضارة والرفق.

## 2- أهم المهن التي مارستها المرأة في الغرب الإسلامي

مارست المرأة في الغرب الإسلامي مجموعة متنوعة من المهن، خاصة خلال العصر الإسلامي الوسيط. فقد اشتغلت بالتجارة، حيث مارست بيع المواد الغذائية مثل اللبن والخضر والفواكه، كما عملت في الغزل والنسيج، خاصة نسيج الحرير الذي كان في الغالب حكرًا على النساء.

كما دخلت المرأة مجال الشراكة التجارية، حيث كانت تعقد صفقات مع الرجال، خاصة في تجارة المواد الغذائية. ومن صور ذلك مشاركتها في شراء أدوات الإنتاج كالرّحى، أو تمويل رحلات تجارية لجلب السلع، وكانت تساهم أحيانًا برأس مالها أو بحليها وجواهرها.

وفي المجال الثقافي، اشتغلت المرأة بمهنة النسخ، وعُرفت بالخطاطة، حيث تخصصت في نسخ المصاحف والكتب الفقهية، وبرزت أسماء مثل سيدة بنت عبد الغني العبديّة، ودُرّة التي عملت في بلاط بني زيري.

أما في المجال السياسي والعسكري، فقد كان للمرأة حضور ملحوظ، كما يظهر في دور والدّة يغمراسن بن زيان، التي قادت مفاوضات سياسية ناجحة مع السلطان الحفصي، واستطاعت بذكائها الحفاظ على حكم ابنها مقابل اتفاق مالي.

## المحاضرة 12: الرق وعمليات الاسترقاق في المجتمع الغربي الإسلامي

- **عوامل الانتشار:** ساهمت المسالك التجارية في انتعاش أسواق الرقيق، حيث تنوعت أجناس الرقيق بين الإفريقي ذي البشرة السوداء والأوروبي ذي البشرة البيضاء، ومثل المغرب الأوسط حلقة وصل بأسواق النخاسة في أوروبا وآسيا.
- **أسعار الرقيق:** لم تكن الأسعار ثابتة بل تأثرت بالعمر، الذكاء، الجمال، وإتقان فنون كالعزف والطبخ؛ مما دفع النخاسين لتعليم الجواري لرفع قيمتهن. على سبيل المثال، بيعت جارية في العهد الرستمي بخمسة دنانير، وفي الفترة الزيانية بيعت جارية سودانية بمائة دينار لجمالها وفطنتها.
- **معاملة الرقيق ومهامهم:** اتسمت وضعية الرقيق بوجوب الطاعة العمياء للسيد وعدم التصرف إلا بإذنه، وكان يُنظر للرقيق أحياناً كأداة لإنجاز العمل. عمل الرقيق في قطاعات الجيش، النقل، السقاية، الفلاحة، الرعي، بينما تولت الجواري شؤون الطبخ، غسل الثياب، النسيج وتربية الأبناء.

## عوامل انتشار الرق ببلاد الغرب الإسلامي

لعبت المسالك والطرق التجارية دوراً محورياً في الانتعاش الاقتصادي داخل أسواق بلاد الغرب الإسلامي. وقد تجلى هذا الانتعاش في تنوع السلع والبضائع، وعلى رأسها الرقيق الذي شهدت تجارته رواجاً كبيراً .

تعددت أجناس الرقيق في المنطقة وانقسمت إلى فئتين رئيسيتين:

• **الرقيق الأفريقي:** وهم ذوو البشرة السوداء .

• **الرقيق الأوروبي:** وهم ذوو البشرة البيضاء .

وقد شكل المغرب الأوسط حلقة وصل رئيسة بأسواق النخاسة في أوروبا وآسيا. وهو ما أكده الجغرافي "ابن خردادبة" (ت 221هـ/833م) بإشارته إلى الرقيق الرومي والجواري الروميات اللواتي كنَّ يُجلبن من جهة البحر الغربي .

## 2- معاملة الرقيق وعلاقتهم بالأسياذ في مجتمف الغرب الإسلامي

أ- **أسعار الرقيق:** من الصعوبة بمكان تحديد سعر ثابت للرقيق في تلك الحقبة؛ نظراً لأن الموثقين لم يحددوا الأسعار بدقة في العقود، بل اكتفوا بعبارات عامة مثل "بئمن يبلغ كذا" أو "بكذا وكذا ذهباً". وقد تأثرت الأسعار بعدة عوامل :

• **التقلب الزمني والسياسي:** ففي قرون الفتح الأولى خضعت الأسعار لمعايير العمر. وفي العهد الرستمي والعبيدي، بيعت جارية في الدولة البربرية بخمسة دراهم. بينما في "بجاية" خلال العهد الحفصي، اعتمد نظام المقايضة، حيث ذكر "الغبريني" مقايضة امرأتين ببيضاوان من الروم بامرأة سوداء. أما في الفترة الزيانية، فقد وصل سعر الجارية السودانية إلى مائة دينار .

• **الصفات والمهارات:** كان السعر يرتفع كلما اتصفت الجارية بالذكاء، والجمال، أو إتقان فنون معينة كالطبخ، أو العزف، أو الرسم. لذلك حرص "النخاسون" على تعليم الجواري القراءة، والكتابة، والرقص، والموسيقى لرفع قيمتهن السوقية .

## ب- وضعية الرقيق والحياة اليومية:

اتسمت حياة العبيد في مجتمف المغرب بخصائص معينة شملت:

• **الطاعة العمياء:** كان العبد يخضع لسلطة سيده خضوعاً تاماً، ولا يمكنه التصرف في أي شأن من شؤونه دون إذن مسبق .

• **شروط الاختيار:** ركز الأسياذ (خاصة الزوجات اللواتي كنَّ بحاجة لمن يعينه في أعباء المنزل) على توفر شروط محددة في العبد، منها: حسن الوجه، وجمال الأخلاق، والقدرة على حفظ السر .

• **النظرة الاجتماعية:** رغم التفاوت في المعاملة، إلا أن الرقيق في المجتمعات المغاربية اعتُبر في كثير من الأحيان مجرد أداة لإنجاز العمل .

• **طبيعة العلاقة:** تكشف النصوص التاريخية عن علاقة متقلبة بين العبيد وأسر سادتهم، حيث كانت تتراوح بين الطيبة والتوتر، مما جعل الرقيق ضحية في كثير من الأحيان .

## ج- مجالات عمل الرقيق والالتزامات المتبادلة:

توزع الرقيق على قطاعات حيوية مختلفة، منها:

- **العسكري:** العمل في الجيش، وحمل المؤونة والأغراض العسكرية للجنود.
- **الزراعي والرعي:** جمع الحطب، وحرثة الأرض، والغرس، والسقاية، وحراسة المزروعات، ورعي المواشي.
- **الخدمة المنزلية:** عملت الجوارى داخل القصور والمنازل في الطبخ، وجلب الماء، وغسل الثياب، والنسيج، وتربية الأبناء.
- **خدمة الدواب:** تولى الرقيق شؤون الحيوانات وحراستها.

## المحاضرة 13: المهمشون والفئات الهامشية وأثرها على النسيج الاجتماعي

تعتبر دراسة "تاريخ الهامش" في بلاد المغرب والأندلس مدخلاً أساسياً لفهم الوجه الآخر للحضارة الإسلامية في أوج ازدهارها. فبينما ركزت المصادر التقليدية على أخبار النخبة، فإن واقع المدن الكبرى أفرز شرائح اجتماعية وُصفت بأنها "غير منتجة" أو "هامشية"؛ نتيجة تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة رافقت حياة البذخ والترف.

### 1. الرؤية الخلدونية: العمران والترف كمولد للتهميش

بنية العمران وتوليد التفاوت الطبقي يرى ابن خلدون أن التهميش ليس حالة طبيعية، بل هو نتاج حتمي للانتقال من "العمران البدوي" القائم على الكفاف إلى "العمران الحضري" المستبحر. فبينما تسود المساواة النسبية في المجتمعات البسيطة، تؤدي الكثافة السكانية في الأمصار العظيمة إلى تضاعف قيمة الأعمال وخلق "فائض اقتصادي". هذا الفائض، رغم كونه محركاً للازدهار، يعمل كمولد للتمايز؛ حيث ترتفع كلفة المعيشة (الغلاء) بشكل يقصي أصحاب الحرف البسيطة ومن لا يملكون "جاهاً" يدر عليهم دخلاً سهلاً، مما يدفعهم قسراً إلى هوامش الدورة الاقتصادية الرسمية.

**العلاقة بين رفاهية الأغنياء ومهن الهامش:** يعتبر "الترف" القوة التي تصنع الرفاهية وتعمق الإقصاء في آن واحد. فعندما ينغمس المترفون والدولة في الاستهلاك الباذخ، تنشأ فئات مهمشة تعيش على "فتات" هذا الفائض عبر استراتيجيات بقاء غير إنتاجية، مثل "اقتصاد السؤال" (التسول) أو "اقتصاد التحايل" (الدجل والبحث عن الكنوز). هذا النمط من العيش يخلق تبعية اقتصادية واغتراباً اجتماعياً، حيث يفقد المهمشون "عصبيتهم" وقدرتهم الإنتاجية، ويصبح مصيرهم مرتبطاً بوجود الفائض المترف، مما يجعلهم أول ضحايا أي اهتزاز في أركان الدولة.

**النفوذ والجاه في إقصاء المهمش:** تتلخص فكرة التهميش عند ابن خلدون في أن الدولة حين تنغمس في الترف، يتحول "الجاه" (النفوذ) إلى الوسيلة الوحيدة لجمع المال بدلاً من العمل والإنتاج؛ وهذا الوضع يفرز طبقة من "المهمشين" الذين تسحقهم الضرائب وغلاء المعيشة في المدن، فيضطرون للعيش على "فتات" الأغنياء عبر مهن هامشية أو "تحايلية" (كالتسول والدجل) للبقاء على قيد الحياة. والنتيجة النهائية هي تحوّل

المجتمع من قوة منتجة و مترابطة إلى "كتل هلامية" ضعيفة لا تشعر بالانتماء، مما يؤدي في النهاية إلى "خراب العمران" وسقوط الدولة لأنها فقدت قاعدتها الشعبية التي كانت تحميها وتغذيها اقتصادياً.

## 2. المهمشون في الغرب الإسلامي

### أ. المتسولون

لم يكن التسول مجرد طلب للمال، بل تحول إلى "صناعة" تعتمد على الحيلة واستدرار العطف

**المكان والأسلوب:** استغل المتسولون أماكن الزحام كالمساجد والأسواق؛ حيث كان البعض "يتخطى رقاب الناس" في صلاة الجمعة، مما دفع الفقهاء مثل ابن عبدون للمطالبة بمنعهم.

- **فنون الاحتيال:** رصدت المصادر لجوء البعض للتمثيل المرضي، كادعاء الصرع، أو افتعال أورام وقروح بشعة بالأصباغ، أو التظاهر بالإعاقة وفقدان البصر لكسب عطف العامة.

### ب. السراق وقطاع الطرق

مثلوا الجانب "المتمرد" من الهامش؛ وهم فئات ناقمة على شروط الحياة الجديدة والتمايز الطبقي الصارخ.

- **النمو الزمني:** ازدهرت اللصوصية في فترات ضعف الدول والفتن، حيث استهدفت المنازل والقوافل، مما اضطر السكان لتحسين منازلهم وبناء الأسوار العالية، واعتماد نظام "العسس" الليلي لحماية الأحياء.

### ج. دور البغايا والنساء المنبوذات

- لقد رافق اتساع رقعة الدولة في الغرب الإسلامي، خاصة في العصرين المرابطي والموحدي، دخول فئات بشرية جديدة وتحول نمط حياة الناس من خشونة البداوة إلى رفاهية الترف. وقد نتج عن هذا التحول تمايز طبقي حاد أدى بدوره إلى ظهور آفات اجتماعية متعددة، برزت من بينها ظاهرة "الدعارة".

- وقد حاولت السلطة مواجهة هذه الظاهرة من خلال مراقبة أماكن تفشيها ومعاقبة ممارسيها. وفي هذا السياق، أشار "ابن عبدون" إلى وجود أماكن مخصصة لهؤلاء تُعرف بـ "دور الخراج"، حيث فُرضت عليهن رقابة مشددة؛ فُمنعن من كشف رؤوسهن خارج تلك الدور، كما نُهين عن المشاركة في الأفراح والمناسبات الاجتماعية حتى وإن وُجهت لهن الدعوة.

- كما شدد ابن عبدون على ضرورة فرض الحراسة على الحمامات والبيوت المشبوهة لمنع وقوع هذه الرذائل. ورغم هذه الإجراءات، لم تتمكن السلطة في الغرب الإسلامي من القضاء على هذه الآفة بشكل نهائي، وذلك لعدة عوامل اجتماعية متداخلة، مثل العزوف عن الزواج أو تفشي ظاهرة الطلاق داخل المجتمع

- **القيود السلطوية:** فرضت الحسبة قوانين صارمة عليهن، شملت منعهن من كشف رؤوسهن خارج الفنادق، ومنعهن من المشاركة في أفراح العامة، مع فرض حراسة مشددة على الحمامات والدور المشتبه بها.

## 3. الأيتام: من التهميش إلى الرعاية المؤسسية

اعتُبر الأيتام مهمشين ثقافياً وسياسياً لكونهم قاصرين خارج دائرة الإنتاج، لكن القوانين الفقهية والمبادرات السلطانية منحتهم وضعاً خاصاً.

- **الحماية الفقهية:** فصل الفقيه ابن رشد الجد في حقوقهم؛ فأكد على وجوب استثمار أموال اليتيم في التجارة لنموها، ووضع نظام "المشرف" لرقابة الأوصياء.
  - **الرعاية الموحدية:** في عهد المنصور الموحدي، كانت الدولة تجمع "الأيتام المنقطعين" سنوياً، وتُجرى لهم عمليات ختان جماعي، ويُصرف لكل طفل كسوة ومبلغ مالي (مقال) ورغيف، لإشعارهم بالانتماء للمجتمع.
- 4. آليات الضبط الاجتماعي: مؤسسة الحسبة**

كانت "الحسبة" هي الأداة التنفيذية للدولة لمراقبة الهامش وضمان استقرار الأسواق.

- **دور المحتسب:** لم يقتصر دوره على مراقبة الموازين، بل شمل منع المنكرات الظاهرة، وملاحقة المتسولين المزعجين، وتفتيش دور البغايا.
- **الرقابة الصحية:** كان المحتسب يمتحن الأطباء ويحلفهم "قسم بقراط" لضمان عدم إفشاء أسرار البيوت أو غش **الخلاصة**

إن تاريخ المهمشين في الغرب الإسلامي يكشف عن مجتمع حاول الموازنة بين "الضبط الأمني" و"التكافل الاجتماعي". فبينما كانت القوانين صارمة في عزل الفئات "المخلة"، كانت المؤسسات الوقفية والسلطانية تسعى لدمج الفئات "الهشة" (كالأيتام والفقراء)، مما جعل من الهامش جزءاً لا يتجزأ من حركية العمران الإسلامي وقوته.

**المراجع: (كتب، ومطبوعات، مواقع انترنت، إلخ)**

- المغيلي (محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت909هـ/1503م)، رسالة في اليهود، تحقيق: عبد الرحيم بن حادة وعمر بنميرة، ط1- دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المغرب 2005م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي (ت369هـ/1076م)، المقتبس من أخبار أهل الأندلس، تحقيق محمود على مكي، دار الكتاب العربي، بيروت (1973م).
- ابن خلدون (أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر محمد بن محمد بن الحسن، ت780هـ)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق الدكتور عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1405م)، ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات محمد علي بيضون، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت 1424هـ/2003م.
- ابن عبد الرؤوف أحمد بن عبد الله القرطبي (ت424هـ/1033م)، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدريسي تحت إشراف مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، ط1 (2005م).
- ابن عبدون، محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي (ق5هـ/11م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (1995 م).
- ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد (كان حيا 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، مكتبة دار صادر، بيروت (د.ت).
- البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت844هـ/1440م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 (2002م).
- العقباني، محمد بن أحمد بن قاسم (ت871هـ/1466م)، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1967م.
- المازوني، أبو زكرياء يحيى بن موسى المغيلي المازوني (ت833هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق حساني مختار، نشر مخبر المخطوطات، قسم علم المكتبات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004م.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت (2004م).
- الونشريسي أحمد بن يحيى (ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1981م).

- بنمليح، عبد الإله، الاسترقاق في الغرب الإسلامي بين الحرب والتجارة، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة 1424هـ/2003م.
  - بوتشيش إبراهيم القادري مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1419هـ/1998م.
  - بوعياد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري/15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1403هـ/1982م.
  - الجحاني، الحبيب، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي، ط2- دار الغرب الإسلامي، بيروت 1406هـ/1986م.
  - حركات إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، منشورات أفريقية الشرق، الدار البيضاء، 1419هـ/1998م.
  - دهينة عطاء الله. الحياة الاقتصادية والاجتماعية لدولة بني زيان، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1410هـ/1984م.
  - فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، مؤسسة موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 1423هـ/2002م
- محمود اسماعيل : سوسيو لوجيا الفكر الاسلامي.

- L Amri ; Pour une Sociologie des rupture. La tribu au Maghreb.